

هدية السلطان الاسلامي بلاد اليابان

هل المسلم ملتزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة؟

بقلم

محمد سلطان المعصومي الخنجدي المكي

المدرس بالمسجد الحرام

وقف لله تعالى

جمعية تراث أحياء التراث الإسلامي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل
فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة
أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدنا لما اختلف فيه من الحق يا ذاك
إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

هذه الرسالة تشرح رد على كتاب :
« الاجتهاد والمجتهدون »

الحمد لله الذي هدانا للإسلام والإيمان ، ووفقنا لمعرفة معاني كتابه
القرآن ، وفهم أحاديث رسوله سيد الإنس والجان ، عليه الصلوات
والتسليمات مادام الملوان، وبسترنا السلوك إلى ما سلك فيه أصحابه الكرام ،
والتابعون لهم بإحسان على الكمال والتمام .

أما بعد، فيقول العبد الفقير إلى ألطاف مولاه القدير، أبو عبد الكريم
وأبو عبد الرحمن محمد سلطان بن أبي عبد الله محمد أوروبون المعصومي الحندي
المكي ، وفقه الله تعالى للعدل بكتابه ، والتمسك بسنة رسوله ، ورزقه
حسن الحتام : إنه كان ورد على ...: قال من مسلمي بلاد اليابان ، من
بلدة طوكيو وأوزاكا في التشرق الاقصى ، حاصله : ما حقيقة دين
الإسلام ؟ ثم ما معنى المذهب ؟ وهل يلزم على من تشرق بدين الاسلام أن
يتمذهب على أحد المذاهب الاربعة ؟ أي أن يكون مالكيًا ، أو حنفيًا ،
أو شافعيًا أو حنبليًا ، أو غيرها ، أو لا يلزم ؟

لأنه قد وقع هنا اختلاف عظيم ، وتزاع وخيم ! حينما أراد عدة أنصار
من متشوري الافكار من رجال اليابان أن يدخلوا في دين الإسلام
ويتشرفوا بشرفه . الإيمان ، فعرضوا ذلك على جمعية المسلمين الكائنة
في طوكيو ، فقال جمع من أهل الهند : ينبغي أن يختاروا مذهب الإمام

أبي خليفة ، لأنه سراج الأمة ، وقال جمع من أهل أندونيسيا « جاوا » :
يلزم أن يكون شافعيًا ، فلما سمع اليابانيون كلامهم تعجبوا جداً ، وتخيروا
فيما قصدوا ! وصارت مسألة المذاهب سداً في سبيل إسلامهم !!
فيا أستاذنا إنا نعرف من علمك للغزير أنه إن شاء الله يصير سبباً للشفاء
من هذا المرض والداء ! نرجو من فيض بحر فضلكم أن تبينوا لنا الحقيقة
حتى تطمئن قلوبنا ، وتنشرح صدورنا فيكون شفاء للعبي ، ولكم الأجر
الجزيل من الله تعالى ، والثناء الجميل منا نحن معاشرتكم بهاجري روسيا .
والسلام عليكم وعلى كافة من اتبع الهدى .

حرر في شهر المحرم سنة ١٣٥٧ في طوكيو

محمد عبد الحفي قوربانعلي

و

عمن جاباك أوغلي

بيان حقيقة الايمان والإسلام

وقد حورت في الجواب ما يأتي، ففتح الله تعالى عليّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وما توفيقي إلا بالله . وهو الموفق للصواب .

اعلم أنه يزعم كثير من أهل الإسلام ، علمائهم فضلاً عن جهلائهم : أنه لا بد للمسلم أن يتمذهب بأحد المذاهب المنسوبة إلى الأئمة الأربعة رحمهم الله كإبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد . وهذا غلط بل حبل من قائله ، وعدم معرفة بالإسلام ! فإنه قد ورد في حديث جبريل الضحيح المشهور كما في الصحيحين : « أن جبريل عليه السلام ينزل رسول الله ﷺ عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : في جوابه : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : ما الإيمان ؟ فقال رسول الله ﷺ : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال السائل : ما الإحسان ؟ فقال رسول الله ﷺ : الإحسان أن تعبد الله تعالى كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، الحديث .

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الخوارج في الصحيحين : « أن النبي ﷺ قال : بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ؟ فقال ﷺ : تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان . فقال

السائل والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا ولا أنقص منه شيئاً ، قال رسول الله ﷺ : أفلح الأعرابي إن صدق . رواه البخاري وغيره .

قال شراح الحديث ولم يذكر فيه الحج لأنه لم يكن فرض إذ ذاك .
وفي البخاري وغيره أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه قال : « بينما نحن مع النبي ﷺ في المسجد إذ دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ، ثم قال أياكم محمد ؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم . فقال : هذا الرجل الأبيض المتكئ ، فقال له الرجل : ابن عبد المطلب ؟ فقال له النبي ﷺ : قد أجبتك ، فقال الرجل للنبي ﷺ إني سألتك فمشدد عليك في المسألة ، فلا تجحد عليّ من نفسك ، فقال سل عما بدا لك ، فقال أسألك بربك ورب من قبلك ، آله أرسلك للناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم ، قال أنشدك بالله ، آله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم واليلة ؟ قال : اللهم نعم ، قال أنشدك بالله : آله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : اللهم نعم ، قال أنشدك بالله : آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبي ﷺ : اللهم نعم ، فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من وراني من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد ابن بكر . »

فهذا هو الإسلام الذي أمر الله به عباده ، وأرسل لبيانه محمداً ﷺ .

التقليد لمذهب معين من المذاهب الأربعة ليس بواجب ولا مندوب !

وأما المذاهب فهي آراء أهل العلم وأفهامهم في بعض المسائل واجتهاداتهم ، وهذه الآراء والاجتهادات والفهوم لم يوجب الله تعالى ولا رسوله على أحد اتباعها ! فإن فيها الصواب والخطأ ! ولا صواب خالصاً إلا ما ثبت عن رسول الله ﷺ . وكثيراً ما ذهب الأئمة إلى مسألة ، فبان لهم الحق في غيرها فرجعوا عنها .

وعلى هذا فمن اراد ان يدخل في دين الإسلام ، ويتشرف بشرف الإيمان ، فما عليه إلا أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقم الصلوات الخمس ، ويؤتي الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً .

وأما اتباع مذهب من هذه المذاهب الأربعة أو غيرها ، فليس بواجب ولا مندوب ، وليس على المسلم أن يلتزم واحداً منها بعينه ، بل من التزم واحداً منها بعينه في كل مسأله فهو متعصب مخطئ ، مقلد تقليداً أعمى ! وهو من فرقوا دينهم وصاروا شيعاً ! وقد نهى الله تعالى عن التفوق في الدين فقال تعالى : (إن

الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) وقال تعالى : (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ : مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ !) .

فدين الإسلام دين واحد ، لا مذاهب فيه ولا طوق يجب اتباعها إلا طريق محمد رسول الله ﷺ وهدية ! قال الله تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وهذه المذاهب قد كثر فيها التنازع من المقلدين لها بغير علم ! وقد قال الله تعالى : (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) وقال جل جلاله أمراً بالاتحاد والاعتصام بكتابه (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) .

أساس دين الإسلام إنما هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ هذا هو دين الإسلام الحق ، وأصله وأساسه الكتاب والسنة ، فيها المرجع في

كل ما تنازع فيه المسلمون ، ومن ردة التنازع الى غيرهما فهو غير مؤمن !!
 كما قال الله تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا
 شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَهُمْ يُسَلِّمُونَ تَسْلِيمًا)
 ولم يقل أحد من الأئمة اتبعوني فيما ذهبت اليه ! بل قالوا خذوا من حيث أخذنا !
 على أن هذه المذاهب أضيف اليها كثير من أفهام القرون المتأخرة ، وفيها كثير
 من الغلط او المسائل الافتراضية التي لو رآها احد من الائمة الذين نسبت الي مذاهبهم
 لتبرؤوا منها ومن قالها !!

وكل واحد من يحفظ عنه العلم والدين من ائمة السلف قد تمسك بظاهر الكتاب
 والسنة ، ورغب الناس في التمسك والعمل بها كما ثبت عن الإمام أبي حنيفة ،
 وكذا مالك والشافعي وأحمد والسيانك : الثوري وابن عيينة ، والحسن البصري
 وأبو يوسف يعقوب القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني . وعبد الرحمن الأوزاعي ،
 وعبد الله بن المبارك ، والإمام البخاري ومسلم وغيرهم ، رحمهم الله تعالى ، وكل
 واحد منهم يحذر من البدعة في الدين ، ومن التقليد الغير المعصوم ! والمعصوم إنما
 هو رسول الله ﷺ ، وأما غيره فأباً كان فغير معصوم ، فيقبل من قوله ما وافق
 الكتاب والسنة ، وينبذ ما خالفها أباً كان ! كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى :
 « كل الناس يؤخذ منه ويؤخذ عليه إلا صاحب هذا القبر ، وأشار الى قبر رسول الله
 ﷺ » . وعلى هذا سلك المحققون من الأئمة الاربعة وغيرهم ، وكل واحد منهم يحذر
 من التقليد الجاهل ! لأن الله تعالى قد ذم في غير موضع من كتبه التقليد الجاهل !
 وما كفر غالب من كفر من الاولين والآخرين الا بالتقليد الأحمق والرهبان ،
 والشايخ والآباء !!

وقد ثبت عن الإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم ،
 رحمهم الله تعالى أنهم قالوا : لا يجمل لأحد أن يُفتي بكلامنا ، أو يأخذ بقولنا ما لم

يعرف من ابن أخذنا ، وصرح كل واحد منهم أنه إذا صح الحديث فهو منهجي ،
وقالوا أيضاً : إذا قلت قولاً فاعرضوه على كتاب الله وسنة رسوله ، فإن وافقها
فأقبوه ، وما خالفها فردوه ، واضربوا بقولي عرض الحائط ، وهذا قول هؤلاء الأئمة
الأعلام ، أدخلهم الله تعالى دار السلام .

ولكن الأسف ألف أسف من المقلدين المتأخرين ، والمؤلفين الذين سوتوا
الدفاتر ، وقد ظنهم الناس أنهم علماء مجتهدون معصومون ! فهم قد ألزموا الناس
تقليد واحد من الأئمة الأربعة ومذاهبهم المعروفة ، فبعد الالتزام حظروا الأخذ والعمل
بقول غيره كأنهم جعلوه نبياً مرسلًا مطاعاً ! يألينهم يعملون بقول الأئمة أنفسهم
ولكن لا يعرف أكثرهم من قول الإمام المتبوع إلا الاسم ! وقد اخترع بعض
التأخرين مسائل ، وابتدع مذاهب ، ونسبها إلى الإمام ، فيظن من يأتي بعده أنها
قول الإمام أو منعه ! والحال أنه مخالف لما قاله الإمام وقورته ! وهو بريء بما
نسب إليه ! كقول كثير من متأخري الحنفية بحجامة الإشارة بالسبابة في تشهد
الصلاة ، أو أن المراد من يد الله قدرته ، أو أنه تعالى في كل مكان بذاته وليس !
على العرش استوى (١) !!

وهذا وأمثاله قد انشقت عصا المسلمين ، وتفرقت جماعتهم وجمعيتهم فاتسع
الحرق على الراقع ، وامتألت الآفاق بالنفاق والشقاق ! فبدع بعضهم بعضاً ،
وضلت كل جماعة من مخالفيها في أدنى شيء ، وحتى كفر بعضهم بعضاً ، وضرب
بعضهم رقاب بعض !! وصاروا مثلاً ! أخبر به الرسول الصادق الأمين سيدنا محمد
ﷺ : « ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قيل من هم
يارسول الله ؟ قال : الذين على ما أنا عليه وأصحابي » .

المتأخرون غيروا وبدلوا حتى ألزموا تقليد واحد فتفرقوا !!

والله العظيم ، إن المسلمين حينما كانوا مسلمين كاملين ، وصادقين في إسلامهم

(١) من اعتقد هذا الاعتقاد ، وأصر عليه بعد التنبيه ، خرج من دين الإسلام .

كانوا منصورين وفاتحين البلاد ، ورافعين اعلام الدين ، كخلفاء الراشدين والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم ، ولكن لما غير المسلمون أوامر رب العالمين ، جازاهم الله تعالى بتغيير النعمة عليهم ، وسلب عنهم الدولة وأزال عنهم الخلافة ، كما تشهد به آيات كثيرة !!

فمن جملة ما غيروا : التمدد بالمذاهب الخاصة ، والتعصب لها ولو بالباطل ! وهذه المذاهب أمور مبتدعة حدثت بعد القرون الثلاثة ، وهذا لاشك فيه ولا شبهة وكل بدعة فتنة ديناً وثواباً فهي ضلالة ! والسلف الصالحون كانوا يتمسكون بالكتاب والسنة وما دلاً عليه ، وما أجمعت عليه الأمة وكانوا مسلمين رحمهم الله تعالى ، ورضي عنهم وأرضاهم ، وجعلنا منهم ، وحشرنا معهم في زميرهم ، ولكن لما ساءت بدعة المذاهب نشأ عنها افتراق الكلمة ! وتضليل البعض البعض حتى أفتوا بعدم جواز اقتداء الحنفي وراء الإمام الشافعي مثلاً ، وإن تقواروا بأن أهل المذاهب الأربعة هم أهل السنة ، ولكن أعمالهم تكفيمهم وتعارض قولهم وتبطله ، فحدثت من هذه البدع هذه المقامات الأربع في المسجد الحرام ، فتعددت الجماعة ، وانتظر كل متمذهب جماعة مذهبه ! فأمثال هذه البدع حصل إبليس مقصداً من مقاصده ! ألا وهو تفريق المسلمين وتشتيت شملهم ، فتعوز بالله من ذلك . هل يسأل الانسان في القبر اذا مات عن المذهب أو الطريقة ؟!

أسألك بالله العظيم يا أيها المسلم العاقل المنصف ، أن الانسان إذا مات هل يسأل في قبره أو يوم الحساب ، لم لم يتمذهب بمذهب فلان ؟ أو لم لم تدخل في طريقة فلان ؟ والله إنك لا تسأل عن ذلك أصلاً ، بل تسأل لم التزمت المذهب الفلاني ؟! أو سلكت الطريقة الفلانية ؟! لأن هذا لاشك من اتخاذ الأجل والرهبان أرباباً من هون الله ! ولأن هذه المذاهب الخاصة ، والطرق المشهورة بدعة في الدين أو كل بدعة ضلالة ! وإنما تسأل أيها الانسان عما أوجب الله تعالى عليك من الإيمان بالله ورسوله ، والعمل بموجبه ، وليس من موجبه التمدد بمذهب بعينه ، أو السلوك في الطريقة الفلانية ! نعم من موجبه سؤالك عما جهلت مع وجود أهل الذكرك من العلماء

جالكتاب والسنة ، ورد ما استبه علمه الى الكتاب والسنة ، هذا هو دين الاسلام
الذي جاء به سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

فيا أيها المسلم ارجع الى دينك ! وهو العمل بظاهر القرآن والسنة ، وما أجمع
عليه سلف الامة ، والائمة الصالحون ، فإن فيه نجاتك ، وبه سعادتك .
فكن مسلماً موحداً ، لاتعبد إلا الله ، ولا تترجو إلا الله ، ولا تخف إلا
الله ، وصيّر نفسك أخاً لكل مسلم ، فأحب لهم ما تحب لنفسك ، ويكفيك
مارواه الإمام الترمذي في سننه عن العرواض بن سارية رضي الله عنه أنه قال :
« وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة العداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ،
ووجلت منها القلوب . فقال رجل : ان هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد النبي ارسول الله ؟
قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد حبشي ، فإنه
من يعش منكم فسيروا خلفاً كثيراً وإياكم ، ومحدثات الأمور فإنها ضلالة ،
فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تعضوا عليها
بالتواجد » .

قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وكذا في سنن أبي داود .
فإن كان الامر هكذا ، فالحذر كل الحذر من التقليد الجامد ! لأنه لاشك
أن من يقلد مذهباً واحداً بعينه في كل مسألة ربما يترك العمل بكثير من الاحاديث
الصاحح ويخالفها ، ولاشك انه ليس هذا إلا ضلال ! فلماذا قد صرح كثير من
المحققين من الحنفية وغيرهم : أنه لا يلزم تقليد مذهب بعينه كما في التحرير للكمال
ابن الهمام ، وأوائل رد المحتار لابن عابدين الشامي ، والقول بلزوم التزام المذهب
المعين ضعيف ! الخ .

أصل القول بلزوم التزام مذهب معين مبني على السياسات .

قال العبد الضعيف المعصومي : إن القول بلزوم التزام مذهب معين مبني على

المقتضيات السياسية ، والتطورات الزمانية ، والأغراض النفسانية ! كما لا يخفى على العاقل الحبير بالتواريخ كما سنين فيما بعد الإيضاح ، والواجب إنما هو معرفة الحق والعمل به !

اعلم ان المذهب الحق الواجب الذهاب اليه والاتباع له إنما هو مذهب سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، وهو الإمام الأعظم الواجب الاتباع ، ثم مذهب خلفائه الراشدين رضي الله تعالى عنهم ، وما من أحد أمرنا باتباعه بعينه إلا محمد رسول الله ﷺ فحسب لا غيره ! وقد قال الله تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا) . وقال ﷺ : « عليكم بمتي وسنة خلفاء الراشدين » ، ولم يقل الإمام أبو حنيفة ولا مالك ولا أحد من الائمة خذوا بقولي ، أو تمذهبوا بمنهي ! بل ولا قال أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهم ، بل نوا عن ذلك ، فإن كان الاصل هكذا ، فمن أين جاءت هذه المذاهب ؟ ! ولماذا شاعت وألزمت على ذم المسلمين ! فتدبر وتأمل أنها ما شاعت إلا بعد خير القرون ، وما أُلزمت إلا من الامراء الفاسقين ، والحكام الجاهلين ، والعلماء المضلين !

تحقيق الدهلوي في رسالة الانصاف أن المذهب بدعة !!

قال ولي الله الدهلوي في رسالته « الإنصاف » اعلم أن الناس في المائة الأولى والثانية من الهجرة ما كانوا يعرفون تقليداً لمذهب ، ولا كان المذهب ! فالسلف لا يعرفون ذلك وكانوا لا يقلدون إلا صاحب الشرع ﷺ ، وقد صح إجماع الصحابة والتابعين وتبعيه . يا احسان من السلف الصالحين على المنع من أن يقصد إنسان إلى قول أحد بعينه ، فمن أخذ بجميع أقوال أبي حنيفة ، أو جميع أقوال مالك ، أو أقوال الشافعي أو جميع أقوال أحمد أو غيره لم يعتمد على ما جاء في الكتاب والسنة ، فقد خالف إجماع الأمة كلها ، واتبع غير سبيل المؤمنين ! نعوذ بالله من هذه

المنزلة ! فلماذا قد نهى هؤلاء الفقهاء عنهم عن تقليد غيرهم ، وقد خالفهم من قديم النخ ، وكذا ذكره الامام العز بن عبد السلام في كتابه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) والشيخ صالح الفلاني في كتابه (ايقاظهم أولي الأبصار).
والعجب من هؤلاء المقلدين لهذه المذاهب المنتدعة الشائعة والمتعصين لها ، فإن أحدهم يتبع ما نسب الى مذهبه مع بعده عن الدليل ، ويعتقده كأنه نبي مرسل ! وهذا نأي عن الحق وبعد عن الصواب ! وقد شاهدنا وجربنا ان هؤلاء المقلدين يعتقدون أن إمامهم يتمتع على مثله الخطأ وأن ما قاله هو الصواب البتة ! وأضمر في قلبه أنه لا يتروك تقليده وإن ظهر الدليل على خلافه ! وهذا هو طبق ما رواه الترمذي وغيره عن عدي بن حاتم رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ : اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ ، فَقَالَ ﷺ : إِنَّهُمْ إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ !! .

من يتعصب لواحد غير رسول الله ﷺ فهو ضال جاهل !!

فيا أيها المسلمون إذا تلبنا مذهب رجل ، وبلغنا حديث الرسول المعصوم ﷺ الذي فرض الله تعالى علينا طاعته ، وتركتنا حديثه ﷺ واتبعنا ذلك الرجل ومذهبه ، فمن أظلم منا وما عذرنا يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟! فمن يتعصب لواحد معين غير رسول الله ﷺ ويرى أن قوله هو الصواب الذي يجب اتباعه دون الامة الآخرين فهو ضال جاهل !! بل قد يكون كافراً يستتاب !! فإن تاب فيها وإلا قتل ! فإنه متى اعتقد انه يجب على الناس اتباع أحد بعينه من هؤلاء

الائمة ، فقد جعله بمنزلة النبي ﷺ وذلك كفر ! وغاية ما يقال أنه يسوغ أو يجب على العامي أن يقلد واحداً من الائمة من غير تعيين زيد ولا عمرو !! أما من كان محباً للائمة موالياً لهم ويقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق لسنة فهو محسن في ذلك ، وأما من يتعصب لواحد بعينه من الائمة دون التابعين ، فهو بمنزلة من يتعصب لواحد من الصحابة دون الباقيين ، كالرافضي والناصي والخارجي ؛ فهذه طرق أهل البدع والأهواء ، الذين ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنهم مذمومون خارجون عن الحق !!

وقد ذكر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى في فتاويه المصرية : إذا كان الرجل متبعاً لأبي حنيفة أو لمالك أو للشافعي أو لأحد رحمهم الله تعالى مثلاً ، ورأى في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك ولم يقدح ذلك في دينه ولا في عدالته بلا نزاع ، بل هذا أولى بالحق وأحب الى الله ورسوله ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ ! كمن يتعصب لأبي حنيفة ويرى أن قول هذا الواحد المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون الإمام الذي خالفه ! فمن فعل هذا كان جاهلاً ، بل قد يكون كافراً ! نعوذ بالله من ذلك !

وفي الاقتناع وشرحه : ولزوم التمهيد بذهب وامتناع الاقتناع الى غيره ، الأشهرُ عدمه ! والجمهور لا يوجبون على أحد التزام مذهب معين ولا يتبع أحد في مخالفة الله ورسوله ، فإن الله تعالى إنما فرض على كل أحد في كل حال طاعة رسوله محمد ﷺ . وفي كتاب (القضاء من الانصاف) قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية : من أوجب تقليد إمام بعينه استتيب وإلا قتل ! لأن هذا الايجاب إضرارك بالله في التشريع الذي هو من خصائص الربوبية !!

تحقيق ابن المهام أن التزام مذهب معين غير لازم !

وقد ذكر الكمال بن المهام في (التحرير والتقوير) في أصول الفقه الحنفي :

أن التزام مذهب معين غير لازم على الصحيح، لأن التزامه غير ملزم ، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بذهب رجل من الأمة فيقلده في دينه في كل ما يأتي ويذر دون غيره !! وقد انطوت القرون الفاضلة على عدم القول بلزوم التمهذب بذهب معين ! مع أن غالب المقلدين يقول : أنا حنفي أو شافعي ، وإيس له علم بطريقة إمامه ، فلا يصير كذلك بمجرد القول ، كما لو قال : أنا فقيه أو كاتب لم يصر كذلك بمجرد قوله وتبعه جداً عن سيرة إمامه ، فكيف يصح الانتساب بالدعوى المجردة والقول الفارغ من المعنى ؟! فتدبر.

وفي (إبقاظ هم أولي الأبصار) : إن الفرق بين المقلد والمتبع أن المقلد لا يسأل عن حكم الله ورسوله ، وإنما يسأل عن مذهب إمامه ! ولو ظهر له أن مذهب إمامه مخالف لكتاب الله وسنة رسوله لم يرجع إليها !! والمتبع إنما يسأل عن حكم الله ورسوله ، ولا يسأل عن رأي آخر ومذهبه ! ولو وقعت له نازلة أخرى لا يلزمه أن يسأل العالم الأول عنه ، بل أي عالم لقيه ! ولا يلتزم أن يتعبد برأي الأول بحيث لا يسمع رأي غيره ! فهذا هو الفرق بين التقليد الذي عليه المتأخرون ، وبين الاتباع الذي عليه السلف الصالح رحمهم الله تعالى !

والتقليد معناه في الشرع : الرجوع الى قول لا حجة لقائه عليه ، وذلك ممنوع عنه في الشريعة ! والاتباع ما ثبت عليه حجة ، والتقليد في دين الله غير صحيح !! والاتباع لازم ، وإذا كان العامي يسوغ له الأخذ بقول المفتي بل قد يجب عليه مع احتمال خطأ المفتي فكيف لا يسوغ له الأخذ بالحديث النبوي؟! فلا كانت سنة رسول الله ﷺ لا يجوز العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطاً في العمل بها ، وهذا من أبطل الباطل ! ولذا قد أقام الله الحجة برسوله ﷺ دون آحاد الناس ولا يفرض احتمال خطأ من عمل بالحديث أو أفنى

به بعد فهمه ، وهذا لمن له نوع أهلية . وأما إذا لم يكن له أهلية ففرضه ما قال الله تعالى : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) .
 وإذا جاز اعتماد المستفي على ما يكتب له من كلام المفتي أو كلام شيخه وإن علا فلأن يجوز اعتماد الرجل على ما كتبه الثقات من كلام رسول الله ﷺ أولى ،
 وإذا قدر أنه لم يفهم الحديث فهو كما لم يفهم فتوى المفتي ، فيسأل من يعرف معناها ، فكذلك الحديث ، وقد قالوا : إن الخبر في كونه حجة فوق القياس والاجتهاد . والعمل بالحديث أولى من العمل بالرواية !

قال العلامة ابن نجيم في البحر الرائق : إن العمل بنص صريح أولى من العمل بالقياس ، وإن ظاهر الحديث واجب العمل !!

والحاصل أن العمل بالحديث بحسب ما بدا لصاحب الفهم المستقيم من المصلحة الدينية هو المذهب عند الكل ! وهذا الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى كان يفتي ويقول : هذا ما قدرنا عليه في العلم فمن وجد أوضح منه فهو أولى بالصواب ! وكذا نقله الشعراوي « في تنبيه المغترين » .

قال علي القاري الحنفي : لا يجب على أحد من هذه الأمة أن يكون حنفياً أو مالكياً أو شافعياً أو حنبلياً ! بل يجب على آحاد الناس إذا لم يكن عالماً أن يسأل واحداً من أهل الذكر ، والأئمة الأربعة من أهل الذكر ، ولهذا قيل : من تبع عالماً لقي الله سالماً ، وكل مكلف مأمور باتباع سيد الأنبياء سيدنا محمد ﷺ .

الامام المتبوع المقتدى به هو النبي ﷺ

قال العلامة عبد الحق الدهلوي في شرح الصراط المستقيم : إن الامام المتبوع والمقتدى به حقاً هو النبي ﷺ ؛ فالأربعة لغيره غير معقولة ! وهذا هو طريقتة السلف الصالحين ، جعلنا الله تعالى منهم .

(١) هذا في حق العامي ، على أن لا يتقيد بمذهب معين . ولا بهالم خاص ، وله أن يستأنس بمطالعة منتهيه بالدليل . كما يطالب الجاني والشرطي بالامر اذا سأل دفع مبلغ من المال !

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يجهل له أن يدعها لقول أحد !!
ولا ريب أن أهل الحق هم الذين يقتفون أثر رسول الله ﷺ ويعملون بأمره وعمله . وإن تنوع فتارة بذا ، وتارة بذاك ، وكذا يقتدون بعده بالذين من بعده من الخلفاء الراشدين والصحابة المهديين رضي الله عنهم لقوله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) . (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وغيرهما من الآيات .

بسبب اتباع المذاهب حدثت التفرقة والاختلافات ا

وإذا تعددت الرواية عن رسول الله ﷺ في بعض الأمور ولم يعلم المتقدم والمتأخر ، ولم يتبين التاريخ ، فعليك أن تأتي بكلها ، تارة بذا ، وتارة بذاك ، لتكون آتياً بما أتى به رسول الله ﷺ ومتبعاً له ؛ وأما إذا اختلفت نوعاً منه وأنكرت الآخر ، فيغشى عليك أمر عظيم جداً ! وإذا علمت في مقابل النص فربما خرجت عن الحق وأنت لا تشعر ! هو كيف يلتقي بالعبد المسلم أن ينكرو ما ثبت عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .
ولما أثبتني الناس بأخذ البعض وترك البعض ، حدثت هذه المذاهب المفرقة ، فقالوا عندنا وعندكم ، وكتبنا وكتبكم ، ومذهبنا ومذهبكم ، وإمامنا وإمامكم !!
فانتجت من ذلك : التباعد والتدابير والتعاسد والتكابر ؛ إلى أن قُتلت أمور المسالمين ، وتشتت جماعتهم حتى صاروا طعمة للإفرونج والجبارين !! أليس كل واحد من أئمة المسالمين من أهل السنة أئمتنا رضي الله عنهم ، وحشرنا في زميرهم ؟
فيا أسفا على المتحصين ! اللهم اهدنا وإياهم إلى الصراط المستقيم .

وإذا حققت المسألة حق التحقيق ظهر لك أن هذه المذاهب إنما أشيعت وروجت وزينت من قبل أعداء الإسلام لتفريق المسلمين ، وتشكيك شملهم ! أو إنما أحدثتها الجهة مضادة لليهود والنصارى وتشبهاً بهم ، كما هو شأنهم في كثير من الأمور !! والجهة المتعصبون هم الأكثر في كل عصر وزمان وهم لا ينصفون ، وبين الحق والباطل لا يميزون !!

قال العلامة ابن عبد البر وابن تيمية رحمهما الله تعالى : لا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ إذا صح الخبر عنه ﷺ ! وسنة رسول الله ﷺ أحق بالأخذ والعمل بها ، وهذا شأن كل مسلم ، لا كما تصنع فرقة التقليد من تقديم الرأي والمذهب على النص ! ولا يعارض نص الكتاب والسنة بالاحتمالات العقلية ، والحيالات النفسانية ، والعصية الشيطانية ! بأن يقال لعل هذا المجتهد قد اطلع على هذا النص ، وتركه لعله ظهرت له ، أو أنه اطلع على دليل آخر ، ونحو هذه مما لمجت به فرق الفقهاء المتعصبين ، وأطبق عليه جهلة المقلدين فافهم !

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : السنة ما-نه الله ورسوله ﷺ ، لا تجعروا خطأ الرأي سنة للأمة ! رضي الله تعالى عن عمر ، فكانه ألهم بوقوع ذلك فحذرت منه ، فقد شاهدنا في هذه الأعصار أرباباً يخالفوا سنة رسول الله ﷺ ، ومصادماً لما في كتاب الله قد جعلوه سنة ، واعتقدوه ديناً ، ويرجعون إليه عند التنازع وسببه منجهاً !! والله العظيم إن المصيبة وبليّة ، وحجة وعصية ، أصيب بها الإسلام وأهله !! فإن الله وإنا إليه واجعون !!

قال الإمام عبد الرحمن الأوزاعي رحمه الله تعالى : عليك بأثر من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول ! وعن بلال ابن عبد الله بن عمر أن أباه عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تمتدوا النساء حظوظهن من المساجد ، قال : فقلت أما أنا فأمنع أهلي ،

فمن شاء فليسرح أهله ، والتفت إليه وقال : لعنك الله ، لعنك الله ، لعنك الله !
تسمعتي أقول ان رسول الله ﷺ أمر أن لا يُبغضن ، وقام مفضباً ، رضي الله تعالى
عن كل الصحابة أجمعين .

مذهب الامام أبي حنيفة انما هو العمل بالكتاب والسنة

وعن صاحب الهداية في روضة العلماء الزندوبية ، قيل لأبي حنيفة رحمه
الله تعالى : إذا قلت قولاً ، وكتاب الله يخالفه ، قال اتركوا قولي لكتاب الله ؛
فقبل إذا كان خبر رسول الله ﷺ يخالفه قال اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ ،
فقبل إذا كان قول الصحابة رضي الله عنهم يخالفه ، قال اتركوا قولي لقول الصحابة
رضي الله عنهم .

وفي كتاب الإمتاع ، روى البيهقي في سننه ، قال الإمام الشافعي رحمه الله
تعالى : إذا قلت قولاً ، وكان عن رسول الله ﷺ خلاف قولي ، فما يصح من
حديث رسول الله ﷺ أولى ، فلا تقلدوني ! وقد صرح به إمام الحرمين عن الإمام
الشافعي رحمه الله تعالى ، وهذا لا خلاف فيه . وفي الكافي : لو أفتى المفتي المجتهد
بشيء وثبت الحديث عن رسول الله ﷺ على خلافه يجب العمل بالحديث ! لأن قول
الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينزل على قول المفتي . الحديث الصحيح لا يكون ادنى درجة
من قول المفتي ، وإذا كان قول المفتي يصلح بالاشرعياً ، فقول رسول الله ﷺ أولى وأحرى !!
قال العلامة ابن القيم في اعلام الموعبين : إن أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله
تعالى مجمون على أن ضعيف الحديث مقدم على القياس والرأي ، وعلى ذلك بناء
مذهب ، فمن يقول إنه لا يجب عليه العمل بالحديث أو لا يجوز ، فلا نزاه إلا
رحلا يريد درجة الله بمجرد التوهم والتخيل ! وليس هذا من شأن المسلم . ومن يعتذر
بعدم الفهم فهو غير مسلم ! كيف وقد أنزل الله تعالى كتابه للعمل به وتعقل
معانيه ثم أمر رسول الله ﷺ بالبيان للناس عموماً ، فقال تعالى :

(لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) ، فكيف يقال ان كلامه ﷺ الذي

هو بيان للناس غير مفهوم لهم إلا الواحد منهم؟! بل في هذا الوقت ليس مفهوماً لأحد! بناء على زعمهم أنه لا يجتهد في الدنيا منذ مئات السنين!! ولعل أمثال هذه الكلمات صدرت من بعض من أراد أن لا ينكشف حقيقة رأيه للعوام بأنه مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فتوصل الى ذلك بأن جعل فهم الكتاب والسنة على الوجه الذي هو مناط للأحكام، مقصوراً على أهل الاجتهاد، ثم نفى عن الدنيا أهل الاجتهاد، ثم شاعت هذه الكلمات بينهم! والله أعلم بحقيقة الامر.

ولعل بعضهم انما منع ذلك للتلايل بعض الى ترجيح بعض المذاهب الموافقة لظاهر الكتاب والسنة فأخذها، وزاد بعضهم على ذلك عدم جواز الانتقال من مذهب الى مذهب، وعدم التلفيق ونحوه، ائلا يجرد الناس الى الترجيح سبيلاً، ولا يطمع أحد في الترجيح، ومعلوم عند أهل البصائر أن أمثال هذه المقالات لا عين منها في دين الله تعالى ولا أثر، بل كثير منها مخالف للعقل والنقل! ومع ذلك ترى كثيراً من أهل العلم ينحرفون عن طاعة رسول الله ﷺ مع أنها فرض لازم، ولا يلتفتون الى كلامه الذي يرويه الثقات الأثبات عنه ﷺ بأسانيد صحاح ثابتة؛ ويرغبون الى روايات من اصحاب المذاهب المذكورة في كتب المذاهب من غير اسناد؛ فإذا رأوا واحداً يميل الى ترجيح قول امام بالحديث والكتاب يعدونه ضالاً مبتدعاً!! فانا لله وانا اليه راجعون.

وانما يجب على كل مسلم العمل بما ثبت عنه ﷺ من الحديث؛ فإذا خالفه فالامر عليه اخوف؛ كيف وقد قال الله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) واذا ظهر حديث للاعتداف فحينئذ ليس من شأن المسلم الجرد على التقليد فإن جرد مع ذلك؛ فما أشبهه بن قال الله فيهم:

(وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ !) .
 فعلى المسلم أن يأخذ بالحديث ، ولا يمنع عن ذلك أنه على مذهب فلان أو
 فلان ! فقد قال الله تعالى : « فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى
 اللَّهِ وَالرَّسُولِ » ، ومن جملة الرد إليه ﷺ الأخذ بقوله عند التنازع وقد تحقق
 التنازع بين الأئمة . فوجب الأخذ بقول ﷺ

المجتهد قد يخطئ ويصيب وأما النبي ﷺ فمصوم من الخطأ

والعجب أنهم يصرّفون أن المجتهد يخطئ ويصيب ، وهو من جملة عقاندم ، وأما
 النبي ﷺ فمصوم من الخطأ ، ثم مع ذلك كله يصرّون على كلام المجتهد كما ترى !
 وبدعون كلام النبي ﷺ ! وباليتهم لو أصروا على كلام المجتهد نفسه ، بل يتمسكون
 ويصرّون بما كتبه كل فاعق وناهق ! كأعتماد جهة الأحناف من أهل ما وراء النهر
 على قول خلاصة الكيداني في تحريم الإشارة بالسبابة في الشهدو منهم منها ، مع
 كونها سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ ، وكافة الصحابة رضي الله عنهم ، وجميع
 الأئمة المجتهدين موماً . وعن الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى ،
 خصوصاً كما هو مصرح به في موطأ محمد بن الحسن الشيباني ، وشرح معاني الآثار
 للطحاوي ، وفتح القدير والعناية ومعدة القاري وغيرها من معتبرات المذهب الحنفي
 قننه !

وقد رأينا أناساً أصحاب طاعة وعبادة ، ولكنهم متساهلون في العمل بالحديث
 ولا يهتمون بأمره ، وإنما يعتنون بما كتب في كتب من ههنا ، ويظنون كأن
 الحديث أمر مردود ، وهذا إنما منشؤه الجهل بالحقيقة !

قال الشيخ محمد حياة السندي : اللازم على كل مسلم أن يجتهد في معرفة معاني
 القرآن والأحاديث وتلبيحها وفهم معانيها ، وإخراج الأحكام منها ، فإن لم يقدر

فعلية أن يقلد العلماء، ولكن لا يلتزم مذهباً بعينه، لأنه يشبه اتخاذ نبياً^(١)، وينبغي له أن يأخذ بالأحوط من كل مذهب! ويجوز له الأخذ بالرخص عند الضرورة، وأما بدونها فالأحسن الترك، وأما ما أحدثه أهل زماننا من التزام مذاهب مخصوصة، لا يرى ولا يجوز كل منهم الانتقال من مذهب إلى مذهب فجعل وبدعة وتعسف!! وقد رأيناهم يتركون الأحاديث الصحاح الغير المنسوخة، ويتعلقون بمذاهبهم من غير سند!!

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: من قلد معيناً في تحريم شيء أو تحليله وقد ثبت الحديث الصحيح على خلافه ومنعه التقليد عن العمل بالسنة، فقد اتخذ من قلده ربا من دون الله تعالى يحل له ما حرم الله، ويحرم عليه ما أحل الله! فإن الله وإن إليه راجعون!!

ومن أعجب العجائب: أنهم إذا بلغهم عن بعض الصحابة رضي الله عنهم ما يخالف الصحيح من الخبر ولم يجدوا له محملاً جوزوا عدم بلوغ الحديث إليه ولم يتقل ذلك عليهم؟ وهذا هو الصواب؛ وأما إذا بلغهم حديث يخالف قول من يقلدونه اجتهدوا في تأويله القريب والبعيد وربما حرفوا الكلم عن مواضعه وإذا قيل لهم عند عدم وجود المحامل المعتبرة: لعل من تقلدونه لم يبلغه الخبر! أقاموا على اللاتل القيامة وشنعوا عليه أشد الشناعة وثقل ذلك عليهم! فانظر إلى هؤلاء المساكين يجوزون عدم بلوغ الحديث في حق الصحابة رضي الله عنهم ولكن لا يجوزون ذلك في أرباب المذاهب! مع أن البون بين الفريقين كما بين السماء والأرض، وترام يقرؤون كتب الحديث ويطلبونها ويدرسونها لا يعملوا بها، بل للتبرك! وإدا

(١) (قوله يشبه اتخاذ نبياً) قال المصومى : بل هو عين اتخاذ ربا لما ثبت في تفسير قوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) من حديث عدى بن حاتم رضي الله عنه

ظهر لهم حديث على خلاف منذهبهم بالفرا في التأويل ! وإذا عجزوا عنه قالوا من
 قدناه أعلم منا بالحديث ! أولاً يعلمون أنهم يُقيمون حجة الله على أنفسهم بذلك !
 وإذا مرت بهم حديث يوافق منذهبهم انبسطوا ، وإذا مرت عليهم حديث يخالف
 منذهبهم انقبضوا ولم يسمعوا ! وقد قال الله تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ
 لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ بُحِّثُوا فِي شَجَرِ بَيْنِهِمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
 أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) .

قال سند بن عنان رحمه الله تعالى في شرحه على مدونة مالك رحمه الله تعالى:
 واعلم أن مجرد الاختصار على محض التقليد لا يرضى به رجل رشيد ، وإنما هو شأن
 الجاهل البليد أو النبي العنيد ! ولنا نقول : إنه حرام على كل فرد بل نوجب معرفة
 الدليل وأقوايل الرجال ونوجب على العامي تقليد العالم ؛ والتقليد هو قبول قول
 الغير والاعتماد عليه بلا حجة ومن غير دليل ولا يحصل به العلم أصلاً ! والتمذهب
 بذهب رجل معين بدعة في نفسه محدثة ! لأننا نعلم بالقطع أن الصحابة رضي الله
 عنهم لم يكن ذلك في عصرهم وإنما يرجعون إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ
 وإلى ما يتمحّص بينهم من النظر عند فقدان الدليل ، وكذا تابعوهم أيضاً ، وإذا
 لم يجدوا اجتهدوا ، ثم كان القرن الثالث وفيه الإمام أبو حنيفة ومالك ثم الشافعي
 وأحمد رحمهم الله تعالى كانوا على منهاج من مضى ، لم يكن في عصرهم مذهب رجل
 معترس بتدريسونه ، وعلى قريب منهم كان أتباعهم فكم من قول لمالك ولنظرانته
 خلفه فيه أصحابه ، فالعجب لأهل التقليد كيف يقولون هذا هو الأمر القديم ،
 وهو إنما أحدث بعد مائتي سنة من الهجرة وبعد فناء القرون التي أنشأ عليها
 الرسول ﷺ !!

قلتُ : ولقد صدقَ سندَ رحمه الله تعالى فيها مذكوره من دم التلديد. للشخص المعينه. واتخاذ رأيه ديناً وذهباً ولو خالف نص السنة والكتاب المبين !! ولا شك في كون هذا بدعة مذبذبة وخصلة شعبة احتال بها إبليس العين على تفريق جماعة المسلمين وتشتيت شملهم وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم! فتري كل واحد منهم يعظم إمامه الجهاد الذي يملئه تعظيماً لا يبلغ به أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، وإذا وجد حديثاً موافقاً لمذهبه فرح به وانقاد له وسلم ، وإن وجد حديثاً صحيحاً سالماً من النسخ والعارض مؤيداً للمذهب غير إمامه فتح له باب الاحتمالات البعيدة وضرب عنه الصئح والعارض ! ويلتمس المذهب إمامه ، وجهاً من الترجيح مع مخالفته للصحابة والتابعين والنص الصريح ! وإنه شرح كتاباً من كتب الحديث حرّف كل حديث خالف رأيه ، وإن عجز عن ذلك كله ادعى النسخ بلا دليل أو الحصومة أو عدم العمل به !!

والمقلدون الجامدون اتخذوا ذلك ديناً ومذهباً بحيث لو أمت عليه ألف دليل من النصوص لا يصحى إليه بل ينفر عنه كل النفور كحتمر مستفجرة فوت من قسورة كما كثرت البخاريين ومن شاكلهم من المنود والأتراك المجاورين في الحرمين الشريفين^(١) وقد علقوا في أيديهم السبع ، وقد يعلتقونها في أعناقهم ، وعلى رؤوسهم الصلح كالثقب ويواظبون على قراءة دلائل الخيرات ، وختم خواجه ، بل قصيدة البردة وأمثالها يظن أنها شوية^(٢) ! وهم لا يشيرون بالشهادة في التشهد ، وأنا غير مرة قلت لهم : لم لا تشيرون والحال أن الإشارة سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم والأئمة المجتهدين رحمهم الله تعالى ، وهم أشد على الشيطان من ضرب بعضا الحديث ؟ فأجاب أمثلهم إننا حنفيون مذهباً وفي مذهبنا أنها لا تجوز بل حرام ، فبينت له ما في موطن الإمام محدث شرح معاني الآثار للطحاوي وفتح القدير لابن المهام ، فقال هذا قول المتقدمين وقد منع عنها المتأخرون

(١) وليس في قراءة هذه الرسائل والقصائد اجر ، لأنها من غير المأثور والمشروع. وقد يكون في قراءتها إثم لما فيها من البدع والضلالات افاقت .

وتركها فاصوات منسوخة ! كما في كتب صلاة للمسعودي والخلاصة الكيدانية وأصرّ على التوك ! والجهال يصتقدون في أمثال هذا الدجال المعاند للحق أنه من الصالحين الواصلين ، نعم إنه من الواصلين إلى الشياطين ! فإن الله وإنا إليهم راجعون . قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى : إن الواجب علينا نحن طلاب الحق أن ننف مع الاقتداء بمن يمتنع عليه الخطأ ونقف عن التقليد بمن يجوز عليه الخطأ فنعرض كل ما جاء عن الأئمة على الكتاب والسنة ، فما قبلناه قبلناه وما لم يقبلناه تركناه ، وقد قام لنا الدليل على اتباع الشاوع عليه السلام ، ولم يقم لنا الدليل على اتباع أقوال الفقهاء والصوفية وأعمالهم إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة !! فإيا خسارة من يعرض عن الأدلة ويمجد على التقليد فيه ، فيما لم يصح تقليدهم على مذهبهم ؛ فالأدلة الشرعية والأخبار الفقهية والرسم الصوفية تدمر وترده ، ونحمد من تحمى واحناط وتوقف عند الاشتباه ، ومن قلّد أحداً من الأئمة وظهر رأى ذلك الإمام مخالفاً لكتاب الله وسنة رسول الله أو الإجماع أو قياس صحيح حليّ ومع ذلك صمم على التقليد فهو كاذب في دعواه الاقتداء بالإمام المذكور وكاذب في تقليده ! بل هو متبع لهواه وعصيته ! والأئمة كلهم بريئون منه ! فهو مع الأئمة بمنزلة أحرار أهل الكتاب مع أنبيائهم لأن كل واحد من الأئمة قد حذّر أصحابه من مخالفة الأصول الشرعية !

الحق ليس محصوراً في رأي أحد قطعاً إلا رسول الله صلى الله عليه وآله

فالأئمة الأربعة بريئون منه وهو بريء منهم ، وهو مبتدع ومتبع لهواه ضالّ مضل لا يشك مسلم في ذلك !! فالحق ليس محصوراً في رأي أحد قطعاً إلا صاحب الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ، فإن الحق محصور فيما جاء به فإذا تأمل النصف يظهر له أن التقليد بنهب إمام معين من غير نظر إلى دليل جهل عظيم وبلاء جسم بل إلى جوره هو عصبية أو الأئمة المجهدون قاطبة على خلافه ؛ لأنه قد صح عن كل

واحد منهم ذم التقليد بلا دليل وإبطاله ! فمن اتبع الدليل فقد اتبع إمامه وسائر الأئمة ويكون متبعاً لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولا يكون بذلك خارجاً عن مذهب إمامه . وإنما يكون خارجاً عن مذهب إمامه وعن سائر الأئمة إذا صمم وجمد على التقليد على خلاف الدليل ! لأن إمامه لو بلغه الحديث السالم عن المعارض، ترك رأيه واتبع الحديث ؛ فالصمم على التقليد في هذه الحالة عاص لله تعالى وعاص لرسول الله ﷺ ومتبع هواه ! قد برىء من الأئمة الأربعة وصار من حزب الشيطان والهوى !! (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) الآبَةُ وَقَدْ انتفى نور الإيمان من قلبه ! أجارنا الله تعالى من العمى بعد الهدى !!

قال الربيع بن سليمان الجيزي : سمعتُ الشافعي رحمه الله تعالى وقد سأله رجل عن مسألة ، فقال ورد عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا ، فقال له السائل يا أبا عبد الله أقول بهذا ؟ فارتعد الشافعي رحمه الله تعالى واصفر لونه وقال : ومجك أي أرض تقلتني وأي سماء تظلمتني إذا رويتُ لرسول الله ﷺ شيئاً ولم أقل به ؟! نعم على الرأس والعين وجعل يُردد هذا القول ؛ وفي رواية الحميدي فقال : الشافعي رحمه الله تعالى : رأيت في وسطى زناراً أتاني خرجتُ من الكنيسة ؟! أقول قال النبي ﷺ ونقول لي أقول بهذا ؟ أروي عن النبي ﷺ ولا أقول به ؟! اعلم أن معظم الناس خامسون وأقلمهم راجحون ! فمن أراد أن ينظر في رحمه وخسره فليتنظر وليعرض نفسه على الكتاب والسنة ، فإذا وافقها فهو الرابع ، وأما إذا خالفها فهو الخامس فيا حسرة عليه ! وقد أخبر الله تعالى بحسارة الخامسين وربيع الراجحين فأقسم بالعصر إن الإنسان لهما خسر إلا من جمع أربعة أوصاف وإذا رأيت إنساناً يطير في الهواء أو يمشي على الماء أو يُنجبر عن المغيبات ولكن يُخالف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب محلل ويترك الواجبات بغير سبب

مُجْتَوِز ، فاعلم أنه شيطان نصبه الله تعالى فتنةً للجهلة ، وليس ذلك بعيداً من الأسباب التي وضعها الله تعالى للضلال ! فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإن الدجال مُجِيبِي ومُيْت ومُيْطِر السماء فتنة لأهل الضلال ، وكذلك من يأكل الحيات ويدخل النيران !

قال الشعراي في الميزان : قال أبو داود قلت لأحمد: الأوزاعي أتبع أم مالكا؟ قال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ما جاء عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فخذ به ، ثم التابعين بعد ، الرجل فيهم مخير ؛ قال أحمد رحمه الله تعالى : لا تقلدني ولا تقلد^(١) مالكا ولا أبا حنيفة ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري رحمه الله تعالى وخذ من حيث أخذوا . من قلته فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال !!

قال ابن الجوزي في كتابه (تلبس إبليس) إن في التقليد إبطال منفعة العقل لأنه مُخْلَق للتدبر والتأمل ، وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة !!

تنبيه مهم جداً

اعلم أن اجتهاد المجتهد ورأيه لا يكون حكم الله ، ولو كان هو عين حكم الله لما ساع لأبي يوسف ومحمد وغيرهما مخالفة رأي أبي حنيفة واجتهاده ! ولذا قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى : هذا رأبي ، فمن جاء بخير منه قبلته ، وسائر الأئمة رحمهم الله تعالى قالوا اجتهدنا رأينا ، فمن شاء قبله ومن شاء لم يقبله !

قال المعصومي إنا نسأل كل من قلده واحداً من الناس دون غيره: ما الذي خص صاحبك أن يكون أولى بالتقليد من غيره؟ فإن قال لأنه أعلم أهل عصره وزاد فضله على من قبله ، قيل له ما يدريك ولست من أهل العلم بشهادتك على نفسك أنه أعلم الأمة في وقته ، فإن هذا إما يعرفه من عرف المذاهب وأدلتها

(١) يقول بعض الحمقى والجهال : إن هذه التوصية هي للمجتهد ، وهذا كذب ، وجعل فان الاجتهاد ليس بحاجة الى توصيات مجتهد مثله !

وراجعها ومرجوحها فما للأعمى ونقد الدرهم ، وإن كنت لا تقلد إلا الأعم فلا
كان أبو بكر ومرو وعمان وعلي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم أعلم من صاحبك
بإجماع المسلمين ؟

يقال للمقلد على أي شيء كان الناس قبل أن يوجد فلان وفلان الذين فلدقروم
وجعلتم أقوالهم بمنزلة نصوص الشارع ، ولستم اقتصرتم على ذلك ، بل جعلتموها أولى
بالاتباع من نصوص الشارع ! أفكان الناس قبل وجود هؤلاء على هدى أو ضلالة
فلا بد من أن يقولوا بأنهم كانوا على هدى ، فيقال لهم فما الذي كانوا عليه غير اتباع
القرآن والسنة والآثار وتقديم قول الله تعالى ورسوله ﷺ وآثار الصحابة رضي
الله عنهم على ما يخالفها والتحاكم إليها دون قول فلان وفلان ورأيه ؟ ! وإذا كان
هذا هو الهدى فإذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى يؤفكون ؟ ! فتدبر !

ولا يخفى أن كل طائفة من المقلدين قد أنزلوا جميع الصحابة وجميع التابعين
وجميع علماء الأمة من أولهم إلى آخرهم إلا من قلدوهم ، في مكان من لا يعتد بقوله ولا ينظر
في فتواه ولا يشتغلها إلا للرد عليهم إذا خالف قولهم قول متبوعهم حتى إنه إذا خالف قول
متبوعهم نصأعن الله وعن رسول الله ﷺ قالوا يجب تأويله وإخراج ذلك النص من دلالة ،
والتحيل لدفعه بكل طريق حتى يصح قول متبوعهم ! فإلى الله المشتكى من بدعة
هؤلاء وتعصيم الهادمين للدين ! حتى كادت مثل عرش الإيمان وتهدم ركنه لولا
أن الله تعالى ضمن لهذا الدين أن لا يزال فيه من يتكلم بإعلامه ويذب عنه ! ! فمن
أسوأ حالا وأدب على الصحابة والتابعين وسائر علماء المسلمين ، أشد استخفافاً بحقهم بمن
لا يلتفت إلى قول واحد منهم إلا إلى قول صاحبه الذي اتخذته وليجة من دون
الله ورسوله !

إن فرقة التقليد قد ارتكبت مخالفة أمر الله وأمر رسوله ، وهدى أصحابه وأحوال
أئمتهم ، وسلكوا ضد طريق أهل العلم ، وهؤلاء الخلف قد عكسوا طريق السلف
وقلبوا أوضاع الدين ، فزيتوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال خلفائه وجميع

أصحابه رضي الله عنهم ، وعرضها على أقوال من قلدهم ، فما وافقها منها قتلوا بها وانقادوا إليه مذعنين ، وما خالف أقوال متبوعهم منها ، قالوا احتج الحُجْم بكذا وكذا ولم يقبلوه ولم يدينوا به واحتال فلاؤهم في ردها بكل ، مكن بهم الذين فرقوا الدين وصبروا أهله شيعاً ، كل فرقة تصر متبوعها ! وتدعو إليه ، وتذم من خافها ، ولا يرون العمل بقولهم حتى كأنهم ملة أخرى سواهم ! وكان الواجب على الجميع أن يتقادوا إلى كلمة سواء بينهم كاهن وهي أن لا يطبعوا إلا الرسول الأعظم محمداً ﷺ ، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله !

واعلم أن الأخذ بأقوال العلماء وقياساتهم بمنزلة التيمم ، إنما يصار إليه عند عدم الماء ، فيحتج ويُجد نص الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم ، فالأخذ به واجب لا يُعدل عنه إلى أقوال العلماء ! ولكن المتأخرين المقلدين عدلوا إلى التيمم ، والماء بين أظهرهم أسهل من التيمم ! والعجب من المقلدين أنهم يأخذون ويعملون بقول فلان وفلان من المتأخرين من مقلدي الأئمة ، ويتوكلون العمل والفتوى بقول الإمام البخاري وعبد الله بن المبارك والأوزاعي وسفيان الثوري وأمثالهم ، بل قول سعيد بن المسيب والحسن البصري وأبي حنيفة ومالك رحمهم الله وأضرابهم مما يسوغ الأخذ به ، بن يرون قول المتأخرين من أتباع مقلدهم مقدماً على فتوى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم ، فلا يُدري ما عذرهم غداً عند الله تعالى إذا سؤوا بين أقوال أولئك وفتاواهم وأقوال هؤلاء وفتاواهم ؟ فكيف إذا رجعها عليها ؟ فكيف إذا عيّن الأخذ بها حكماً وإفتاءً ، ومنع الأخذ بقول الصحابة رضي الله عنهم !

لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

وقد قال الامام مالك رحمه الله تعالى : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ! ولا شك ان اول الامة وخيرها كانوا يتمسكون بالكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف الصالحون . والمسلمون لما رغبوا عما شرع الله تعالى الى ما توهموا أنه يرضى غيره ممن اتخذوا أنداداً له ، فلا عجب إذا أن مجرموا ما وعد الله المؤمنين

من النصر ، لانهم انسلخوا من مجموع ما رصف الله تعالى به المؤمنين ! ولم يكن في القرن الاول ولا الثاني شيء من هذه التقاليد العمياء والاعمال التي نحن عليها ! فلو دخل في الإسلام رجل عاقل ، أو شعب راق ، لمار ما يدري بم يأخذ ا ولا أي المذاهب والكتب في الاصول والفروع يعتمد ؟ ولصعب علينا إقناعه بأن هذا هو الدين القيم دون سواه ، أو بأن المذاهب كلها على اختلافها شيء واحد ! كما وقع فيما نحن فيه من الواقعة اليابانية ، ولو وقفنا نحن المسلمين عند حدود القرآن ؛ وما بينه من المهدي النبوي لهل علينا أن نفهم ماهي الحنيفية السمحة التي لا حرج فيها ولا عسر ، وما هو الدين الخالص الذي لا اعوجاج فيه ولا خلف !

ونحن اذا نظرنا في أقوال الفقهاء وتشعبها وخلافاتهم وعلها فإننا نحار كل الحيرة ، حتى إن بعضهم يقول : إن المدرك قوي . ولكنه لا يعمل به ولا يُفنى به ، ولماذا ؟ لان فلانا قال كذا ، فقول رجل من رجال كثيرين جداً نجمل تاريخ أكثرهم ، يكفي لتترك السنة الصحيحة وإن ظهر أن المصلحة فيما جاءت به السنة ! وبهذا قد قطعت الصلة بين ما نحن فيه وبين أصل الدين وبنبوعه ؛ والحال أنه لا يجوز لأحد أن يرجع في شيء من عقائده وعباداته إلا إلى الله تعالى وإلى رسوله الذي أنزله عليه ، كما يجب علينا ان نعتقد بأن الحكم لله وحده ، لا يؤخذ عن غيره الدين ، وبهذا نكون موحدين مخلصين له الدين ! كما أمرنا في كتابه المبين ، ومن خرج عن هذا كان من متخذي الانداد والمالكين !!

قال الله عز وجل : « إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ

أَعْمَاهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِبِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ .

اعلم أن هذه الآية أشد رزاً على المقلدين لمجودهم على أقوال الناس وآرائهم في الدين ، سواء كانوا من الأحياء أم من المبتين ! وسواء التقليد في العقائد والعبادات ! أم الحلال والحرام ، إذ كل هذا إنما يؤخذ عن الله ورسوله ، ليس لأحد فيه رأي ولا قول ، ويدخل فيه الائمة المضلون ! وأما الائمة المهديون فنع كل واحد منهم عن عبادة غير الله تعالى ، وعن الاعتماد على غير الله ، وعلى غير وجهه في الدين !

ويزعم بعض المفسرين أن أمثال هذه الآيات خاص بالكفار ؛ نعم إنها خاصة بالكفار كما قالوا ، ولكن من الخطأ أن يفهم من هذا الكلام ما يفصل بين المسلمين والقرآن ، إذ يصرفون كل وعيد فيه إلى المشركين واليهود والنصارى فيصرفون عن الاعتبار المقصود ، لهذا ترى المسلمين لا يتعظون بالقرآن ومحسبون أن كلمة لا إله إلا الله يتحرك بها اللسان من غير قيام بحجة وقها كافية للنجاة في الآخرة ؛ على أن كثيراً من المنافقين والكفار يقولها ، وإن ما بين الله تعالى من ضروب الشرك وصفات الكافرين وأحوالهم إلا عبرة لمن يؤمن بكتابه حتى لا يقع فيما وقعوا فيه فيكون من الهالكين !

ولكن رؤساء التقليد قد حالوا بين المسلمين وبين كتاب ربهم بزعمهم أن المستعدين للاهتداء به قد انقضوا ، ولا يمكن أن يوجد مثلهم ، لما يشترط فهم من الصفات التي لا تتيسر لفهمهم ، كعرفة كذا كذا من الفنون ، مع أن السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وكذا الائمة الاربعة رضي الله عنهم متفقون على أنه لا يجوز لأحد ان يأخذ بقول أحد في الدين ما لم يعرف دليله !! ثم جاء العلماء المقلدون وجعلوا قول المفتي للعامي بمنزلة الدليل ! ثم خلف خلف أعرق في التقليد

فنعوا كل الناس اخذ أيّ حكم من الكتا- والسنة ، وعدرا من يحاول فهمها
والعمل بها زائفاً ! وهذا غاية الخذلان ، ونهاية الحسران ، وعداوة الدين ! وقد
تبعم الناس في ذلك ، فكانوا لهم أندادا من دون الله ، وسيتبرأ بعضهم من بعض
كما أخبر الله تعالى !!

والعبد الضعيف قد ألفت في هذه الآية رسالة سميتها [البرهان الساطع في
تبرؤ المتبوع من التابع] وقد طبعت في مصر بحول الله تعالى وقوته ، فعليك
بها هداي الله تعالى وإياك بإطال الحق الى الصراط المستقيم .

حكاية الفخر الرازي في تفسير العلماء دين الله وشرعه !!

وإني أذكر لك ما وقع في الدرون الماضية من أمثال ما ذكرناه من
التحريف والتبديل والانحراف قال فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى :

« اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ،

عن تفسيره مسفاتح الضيب ؛ وكذا ذكره محيي السنة البغوي في معالم التنزيل :

إني قد شأمت جماعة من مقلدة الفقهاء ، قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب

الله تعالى في بعض المسائل ، وكانت مذاهم بخلاف تلك الآيات ، فلم يقبلوا تلك

الآيات ولم يلتفتوا للحم ، وبقوا ينظرون إليّ كالتعجب ! يعني كيف يمكن العمل

بظاهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها ، ولو تأملت حق

التأمل وجدت هذا الداء ساريا في عروق الاكثرين من أهل الدنيا !! هـ

و كثير منهم أثبتوا في حق شيوخيهم الحلول والاتحاد ، وهذا مشاهد وواقع

في هذه الامة انتهى كلام الرازي ، وقد توفي رحمه الله تعالى في سنة ٦٠٦ .

فليعتبر مسلمو هذا العصر الذين يقلدون شيوخ مذاهم الموروثة بغير علم في

العقائد والعبادات والحلال والحرام ، بدون نص من كتاب الله قطعي الدلالة ،

أو سنة رسول الله ﷺ المتبعة بالعمل المتواتر ، ولا من حديث صحيح ظاهر
الدلالة أيضاً بل فيما يخالف النصوص ، وكذا اصول أئمتهم أيضاً ، بل يوجد في
هذا الزمان من هو شر من ذكره الرازي فتنبه ! وقد نبه على هذا الشيخ السيد
محمد رشيد رضا في تفسير [المنار] .

والعبد الضعيف قد بينته بياناً وافياً في تفسيره لأُم القرآن المسمى :
[أوضح البرهان في تفسير أم القرآن] ، وهو مطبوع في مطبعة أم القرى بمكة
المكرمة عام ١٣٥٧ هـ فعليك به .

الامام الأعظم هو رسول الله ﷺ لا غيره !!

قال العلامة المرتضى الزبيدي في شرحه على الإحياء : اعلم أن المقلد بفتح
اللام إنما هو صاحب الشرع سيدنا محمد ﷺ فيما أمر به وقال ، وإنما يُقلد الصحابة
رضي الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم منه ﷺ ، وهذا هو الذي أمرنا
باتباعه لا غيره ، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما : « ما من أحد إلا يؤخذ
من علمه ويتوكل إلا رسول الله ﷺ » . قال العراقي رواه الطبراني في الكبير
وإسناده حسن ، وكذا في قوت القلوب النخ .

فالتقليد المذهبي صار داء عضالاً ، وبلاء عظيماً ، عم هذا البلاء العالم ، ولا نجد
من يؤثر ما صح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على ما في كتبهم وأقوال مشايخهم
إلا أفراداً قليلين ، ولكن نحن نحمد الله تعالى أن قد رأينا الآن جماعة موحدين
خالصين ، يدعون الناس إلى التوحيد ، ويجاهدون في الله حق الجهاد ، ويجارون
المقلدين والخرافيين والدجاجيل !! وقد أسست لهذا الغرض جمعيات للتعارف على نشر
التوحيد وبثه ، وهم في الحجاز ومصر والسودان وسنجا من بلاد العراق وغيرها ،
اللهم زدكم توفيقاً ، وانصرهم ماداموا ينصرون دينك آمين يارب العالمين .

قال السيد صدّيق حسن في تفسيره [فتح البيان في مقاصد القرآن] وفي آية:

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) ما يزجر من

كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التلايد في دين الله ! وإيثار ما يقوله العلماء على ما في كتاب الله العزيز والسنة المطهرة ، فإن طاعة المتهذب لمن يقتدى

بقوله من علماء هذه الأمة ، مع مخالفته لما جاءت به النصوص ، وقامت به حجج

الله وبراهينه ، هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله

للقطع بأنهم لم يعبدوهم ، بل أطاعوهم فحرّموا ما حرّموا ، وحلّلوا ما حلّلوا ،

وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة !! وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة

والتمرّة بالتمرّة ؛ فيا عباد الله، ويا أتباع محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ ، ما بالكم

تركتم للكتاب والسنة جانباً ؛ وعمدتم الى رجال مثلكم ، واتبعتم آراءهم ، وهم

غير معصومين ؟! يخطئون وبصيون ، كما هو المقرر في كتب عقيدتكم ، فما هذه

الأذهان الكلية ، والأفهام المريضة ، والعقول السخيفة ؟! فاتركوا يا إخواني

أرشدكم الله كتباً كتبها غير المعصومين ؛ وارجعوا الى كتاب ربكم الحي القيوم ،

وسنة رسوله محمد المعصوم عليه الصلوات والتسليمات ، واتخذوا محمداً رسول الله

إمامكم ؛ فهو ﷺ إمام الأئمة ؛ وتمذهبوا بذهبهم ﷺ ، فإن كل الأئمة يتمذهبون

بمنهجه ، فكل مذهب يخالف مذهبه ﷺ باطل مردود ، اللهم أرشدنا الى الصواب .

وقد ثبت في الآيات المحكمة القطعية الدلالة أن الله تعالى هو شارع الدين ،

وأن رسوله ﷺ هو المبلغ عنه : (إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) ، (مَا عَلَى

الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) ، (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ) فهذه أنواع الحصر

الذي هي أقوى الدلالات

وأركان الدين التي لا تثبت إلا بنص الكتاب أو بيان رسول الله ﷺ لمراده

منه ثلاث : الاول العقائد ، الثاني العبادات المطلقة ، والمقيدة بالزمان والمكان ؛
او الصفة والعدد . الثالث التحريم الديني ؛ وما عدا ذلك من أحكام الشرع ؛
فيثبت بالاجتهاد فيما ليس فيه نص ؛ ومداره على إقامة المصالح ودفع المفساد ؛
فتدبر ولا تكن من الغافلين ؛ فإن نصوص الكتاب والسنة ومعمل السلف الصالح
وكلامهم كثير في هذا الباب .

فهذا نموذج من كلام أئمة الإسلام ندعم به ما ذكرناه من الحجج والنصوص في
دعوة المسلمين الى فهم القرآن والاهتداء به ؛ وبما ورد في السنة من بيانه ؛ والاكتفاء
بعباداتها وأذكارها ، والاستغناء بها عن كل ما عداها من غير غلو ولا تعصب
ولا تكلف ؛ والتفرغ بعد ذلك الى القيام بفروض الكفايات من الدفاع عن
الإسلام وتعزيزه ، ودفع الأذى والاستعباد والظلم عن أهله ؛ وإعزاز الأمة بالقوة
والثروة بالطرق المشروعة المبنية على الفنون الصحيحة والنظام ؛ وإنفاقها في سبيل
الله ؛ فهذا أفضل من الأوراد المتدعة !!

أمرنا الله تعالى بالسلوك على الصراط المستقيم

أمرنا الله تعالى أن نلتك في هذه الدار الى صراط الله المستقيم الذي أرسل به
رأسله ، أنزل به كتبه وأخبر أن هذا الصراط المستقيم هو الموصل الى جنته ودار
نوابه ، وعلى قدر ثبوت العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله تعالى لعباده في
هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنسوب على متن جهنم ! فلماذا
قال الله تعالى : **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمُ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** .
ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر للناس ناكبون عنه
والسالك فيه قد يتوحش لتفردده ، نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق

وأنهم هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، أيزول عن الطالب الهداية وصلاح الصراط المستقيم وحشته وتفردّه عن أهل زمانه وبني جنسه ، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم ، فلا يكثرث بمخالفة التناكبين عنه فإنهم هم الأقلون قدراً !! وإنت كانوا الأكثرين عدداً كما قال بعض السلف : عليك بطريق الحق ولا تتوحش أقلية السالكين ، وإيّاك وطريق الباطل ولا تقرب بكثرة المتهاكبين !! وكما استوحشت في تفردك ، فانظر الى السابقين واحرص على اللائق بهم وغيض الطرف عن سوامهم ، فإنهم لن يُغفروا عنك من الله شيئاً ؛ وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعافوك ! ومن هذا قد ورد في دعاء القنوت : اللهم أهديني فيمن هديت ، أي أدخلني في زرة الرفيعة واجعاني رفيقاً لهم ومعهم !

وينبغي أن يتحفظ العبد من مذهب المفضوب عليهم والضاخين . والمفضوب عليهم هم أهل فساد العلم والقصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه ، والضاخين هم الذين فسد علمهم فجهلوا الحق ولم يعرفوه ! وأما الحق فهو ما كان عليه محمد رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم دون آراء الرجال وأوضاعهم وأفكارهم واصطلاحاتهم ، فكل علم أو عمل أو حقيقة أو حال أو مقام خرج من مشكاة نبوته وعليه السكة الحمديّة فهو من الصراط المستقيم ، وما لم يكن كذلك فهو من صراط أهل الغضب والضلال والجحيم ! كذا [في مدارج السالكين لابن القيم] .

ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أعلم الناس بالدين وبمآني ما جاء به رسول الله من غيرهم ، ومن أحمال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ جهلوا الحق وعرفه غيرهم من الرافضة والمبتدعة !! إنا إذا نظرنا الى آثار الفريقين وجدناها تدل على أن طريق أهل الحق ظاهر بين ، إن أصحاب رسول الله ﷺ

فتحوا بلاد الكفر وقلبوها بلاد إسلام ، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى ،
فأثارهم تدل على أنهم أهل الصراط المستقيم ، ورأينا الراضة والمبتدعة والمنسبين
الى المذاهب المعينة بالعكس في كل زمان ومكان !!

إن في يوم الجمعة عاشر رمضان عام ١٣٦٠ كنتُ في الطائف في مسجد عبد الله
ابن عباس رضي الله عنها أتلو كتاب الله رب العالمين ، إذ ظهر لي منه أن فرعون
عليه اللعنة هو الذي حزب الناس أحزاباً وفرقهم الى مذاهب وطرائق !! فعلم
منه أن بدعة المذهب والتمذهب وضلالة الطرق والطريقة من سنة فرعون
وسياسة الجبينة كما هو الشائع البائن من سياسة الحكومات الإيليسية الأوروبية !!
فقد قال الله تعالى في سورة القصص : « **إِن فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ** » الآية ، وفي سورة الروم :
« **وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ : مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ !!** » .

اعلم أنه لا شك أن من صفات المهتدين الإيمان بجميع الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام بلا تفریق بين أحد منهم ، والتسليم لهم ولما جاءوا به ، واتباع الحق حينما
كان وإكرامهم واحترامهم ، فإن كان الأمر هكذا فكذا يجب إكرام ورثتهم
من الصحابة والتابعين والعلما والمجتهدين كالائمة الأربعة وأضرابهم ، رائة أهل
الحديث رضي الله عنهم ، فالأخذ بقول البعض وترك من سواه ، او محبة البعض
وُبغض من عداه كما يفعله غالب مقلدة المذاهب الجامدين ليس من هدي المهتدين
ولا من صفات المتقين !! فمن هذا قد نشأت العداوات بين منتسبي المذاهب حتى
صاروا لا يقتدون في الصلوات خلف من ليس على منهم ؛ فالتعصبُ جهلاً منهم
قد أعمى قلوبهم وأبصارهم !!

ومن أهل الضلال من جعل المذهب أصلاً ، ولا قرآن هو الذي يُحمل عليه ويُرجع بالتأويل والتعريف إليه ! كما جرى عليه المخذولون وقاه فيه الضالون !!
والحق الواجب أن يكون القرآن أصلاً يُحمل عليه المذاهب والآراء في الدين ، فما وافقه فمقبول وما خالفه فمردود !!

من وصف المغضوب عليهم أنهم لا يقبلون الحق إلا من أهل مذهبهم !

[تنبيه] اعلم أن من وصف المغضوب عليهم أنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها مع أنهم لا يتبعون ما لهم في اعتقادهم ، كما هو شأن كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم أو في الدين من المتفهمة أو المتصوفة وغيرهم ! فإنهم لا يقبلون من الدين رأياً ولا رواية إلا ما جاءت به طائفتهم ؛ مع أن دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقاً رواية ورأياً من غير تعيين شخص غير رسول الله ﷺ ، لأن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أين وجدها .

والمذهب يعظم في قلبه شخص فيتبعه من غير تدبر لما قال تقليداً لأبائه وأهل بلاده ! وهذا عين الضلال !! لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال علي رضي الله تعالى عنه إن الحق لا يُعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله ! فالخير كل الخير في اتباع ما أمر به وفعله رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وكذا السلف الصالحون رحمهم الله تعالى ! والشر كل الشر والضلال كل الضلال فيما أحدثه المتأخرون في الأمور الدينية ، ولا شك أن المذهب من البدع في الدين !! وإنما أحدثه الأمراء والولاة لمقتضى سياساتهم أو اتباعاً لهوام ، أو حفاظاً لجاههم ، أو عصبية لمشايخهم ، كما هو معلوم لكل من طالع التواريخ !!

قال ولي الله الدهلوي في التفهيمات الإلهية ج ١ ص ١٥١ : وترى العامة لا سيما اليوم في كل قطر يتقيدون بمذهب من المذاهب ، ويرون خروج الإنسان من

مذهب من قلده ولو في مسألة كالحروج من الملة كأنه نبي بُعث إليه! إرافترض
 طاعته عليه. وكان أوائل الأمة وخير القرون قبل المائة الرابعة غير متعيينين بمذهب
 واحد! قال أبو طالب المسكي في قوت القلوب: إن الكتب والمجموعات محدثة
 والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد منهم واتخاذ قوله في كل شيء والتفقه
 على مذهبه لم يكن الناس قديماً على ذلك! بل كانت العامة يتعلمون ويأخذون من
 العلماء أين وجدوهم!! ومن كان منهم يسمع الحديث يعمل به ولا يفقد سواه!
 وكانوا لا يقلدون إلا صاحب الشريعة فقط! وإذا اختلفت الروايات يتبعون
 من الأقوال ما يتلجج قلبهم. وبعض الناس اختار التقيد بمذهب واحد لثلاث يتخلف
 عليه العامة! وكان بعض الجهابذة من العلماء لا يتقيد بمذهب واحد في عمله بنفسه
 أو في فتاواه لغيره كآبي محمد الجويني فإنه صنف كتابه المحيط ولم يلتزم فيه المشي
 على مذهب واحد، فهذه المسألة هالت القوم وأهاجت فحدثت فتن وتعضبات!!

الحق ان النبي ما ألزم الناس التزام مذهب واحد بعينه!

والحق أن الشارع ﷺ ما ألزم الناس أن يلتزموا مذهب واحد من الأئمة
 بعينه وإنما أوجب اتباعه ﷺ، فمن خالف سنة رسول الله ﷺ بعد نبوته ما كان
 خلافه مردوداً عليه ولم يكن معذوراً قط! وأما إذا لم يبلغه الحديث فرمما كان
 معذوراً حتى يبلغه الحديث، وليس لأحد من ينتسب إلى الإسلام أن يقول أنا
 لا أعمل بالحديث وإنما أعمل بقول إمامي، فإنه يجره إلى الارتداد والعياذ بالله تعالى!!
 فيجب من المسلم أن يتأمل ما ثبت من الحديث ويمثله بين عينيه ويعرض عليه
 بالتواجد ويعتصم به مع قلبه ويده، ولا يعصي لمن يخالفه في ذلك، وهذه
 الجادة القوية فاتخذها مذهباً واحداً ولا تخرج عنها! ومثال الخروج من هذه
 الجادة مسح القدمين في الرضوء، واستحلال نكاح المتعة، واستحلال الشراب

المسكو إذا شرب منه قليلاً ! واستحلال الخمر الإنسانية ! والقول بأن آخر وقت
الظهر أن يكون الظل مثلي ظل الإنسان بعد الفيسء الأصلي .

ثم يا أيها المسلم إذا سمعت همتك في العلم وقويت عزيمتك في التقوى ، فاحرص
على فهم صريح الكتاب وظاهر السنة وفعل أكثر أهل العلم من السلف ، واجمع
بين الأحاديث المختلفة ، وتتبع الأخبار الصحيحة والحسنة المرورية في كتب المحدثين ،
وخذ بالأقوى والأقيس والأحوط .

وتحصل هذه الطريقة سهل لا يحتاج أكثر من الموطأ والصحيحين وسنن أبي
داود وجامع الترمذي والنسائي ؛ وهذه الكتب معروفة مشهورة ؛ يكن تحصيلها
في أقرب مدة فعليك بعرفة ذلك ، وإذا لم تعرف أنت ذلك ، وسبقك إليه بعض
إخوانك وفهمك باللسان الذي أنت تعرفه لم يبق لك بعد هذه عنز ! والله
تعالى أعلم .

وفي التمهيدات أيضاً ج ١ ص ٣٠٩ أن هؤلاء المسلمين أنفسهم بالفقهاء الجامدين
على التقليد يبالغهم الحديث من أحاديث النبي ﷺ بسناد صحيح وقد ذهب إليه جمع
عظيم من الفقهاء المتقدمين ، وهم لا يعملون به وما يمنهم من العمل إلا التقليد لمن لم
يذهب إليه ؛ فهؤلاء جميعاً على -خافة وسفاهة رأي وضلالة!!- والحق أن الحق أمر
يسين ، وأشهد الله بالله أن الله تبارك وتعالى أجل وأعدل من أن يكلف الناس
بشريعة أن يعملوا بها إلى يوم القيامة ثم يجعلها عليهم عمى لا يبصرون فيما بين الحق
والباطل ، بل الله تبارك وتعالى أبلغ الحق وأظهره حتى لا يهلك على الله إلا كل
منارد ومتمرد ، فأنزل كتاباً محكماً لا يلتبس به كلام الناس ، وحفظه من أن
يتطرق إليه تحريف ، وأطلق رسوله ﷺ بأحكام وحكم ، وقد قضى الله تعالى
لحفظ أحاديثه زعماء أمناء قد تكلفوا ببيان الحق مروياً عن رسول الله ﷺ ، وقد
زيفوا الزيف ، فعليك الأخذ والاعتقاد على الأحاديث التي يروها الثقات من

صاحح أو حسان ، فمن يخالف الأحاديث الصحاح فذلك الجاهل الضال !
وفيه أيضاً ج ١ ص ٢١١ وأشهد الله بأنه أن لا حاكم إلا الله ، وأن لا حكم
إلا لله ، وإن الله تعالى حكم بالواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام . من
فوق عرشه محقق ذلك كله في الملا الأعلى ، ثم أنزل الشريعة في الناس على لسان من
اصطفاه لرسالته ، فمن أخبر بأن هذا واجب أو حرام ممن غير نبي
وثقة فقد افتري على الله الكذب « وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمْ
الْكَذِبَ عَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، إِنَّ
الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ! » . وأشهد الله بأنه أنه قد
كفر بالله من يعتقد في رجل من الامة يخطئ ويصيب أن الله كتب عليه اتباعه
حتماً وإن الواجب عليه هو الذي يوجب هذا الرجل عليه !! ولكن الشريعة الحقة
قد ثبتت قبل هذا الرجل بزمان قد وعاء العلماء وأداها الرواة وحكم بها الفقهاء ،
وإنما اتفق الناس على تقليد العلماء على معنى أنهم رواة الشريعة عن النبي ﷺ ؛ فلو
أن حديثاً صحح وشهد بصحته المحدثون وعمل به طوائف ثم هو لا يعمل به لأن
متبوعه لم يقل به فهذا هو الضلال البعيد !

وفيه أيضاً ج ١ ص ٢١٢ ، وأشهد الله بأنه أن الشريعة على مرتبتين : إحداهما
الأخذ بأصل الفرائض . والاجتناب عن المحرمات القطعية ، وإقامة شعائر
الإسلام ؛ وهذه المرتبة محتومة على طوائف الناس أديانهم وأقاصيمهم ، ملوكهم
وأمرائهم ، مجاهديهم وفلاحهم ، محترفيهم ونجارهم ، سيدهم وأحرارهم ، وهذه
المرتبة سهلة سمجة ليس فيها شدة . وثانيها مرتبة الكمال والجمال ، من أخذها كان
عابداً محسناً سنياً ، وفي هذه المرتبة سنن وآداب وتورعات مأثورة عن النبي ﷺ ،
وعن أوائل الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم ، وبين
المرتبتين فرق عظيم ، وإهمال الفرق خسران وجهل ، ومن إهمال الفرق بينهما
نشأ غالب اختلاف العلماء ، والغزاة والمخرقة والتعاضد الذين يشتغلون بأمر المعاش

يكتفون بالأصل ، والمتفرغون العباد والزهاد يأخذون بالثانية ، ورجال بين
بين ، ولا ينبغي ان يؤمر المشتغلون بمعاشهم ، لاسيما العبيد والإمام والفلاحون
والمتفرغون بأكثر من المرتبة الأولى ، وإلا كانت شاقة عليهم ، وأفضى الأمر الى
تركها والتفرغ منها ؛ فيا أيها الناس لا تتبعوا إلا من دعا الى كتاب الله وسنة
رسوله ، ولم يدع الى نفسه ولا الى إطاعة من دون الله ورسوله !

وفيه أيضاً ج ١ ص ٢١٤ وكثير من السفهاء يسمون أنفسهم بالعلماء الاشتغالهم
بعلم اليونان والصرف والنحو والمعاني ، ولا يعلمون من كتاب الله وسنة رسول
الله ﷺ إلا الألفاظ ! وإنا نجحسون باستحسانات الفقهاء وتقريرعاتهم ، فاذا بلغهم
حديث من أحاديث رسول الله ﷺ لا يعملون به ، وإنا يقولون : إنما عملنا على
منه فلان لا على الحديث ! وإمامنا أعلم بالحديث منا ، فهو لم يتركه إلا لوجه
ظهر له من نسخ أو مرجوحية^(١) ، وهذا القول والعمل ليس من الدين في شيء إن
آمنت بنبينا فاتبعوه خالف منهج إمامكم أو واقفه ؛ فالواجب على المسلم أن
يشغل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ابتداء ، فإن سهل عليه الأخذ بها فيها
ونعمت ، وإن قصر فهمه نليتسن بفهم من مضى من العلماء ما يراه حقاً وصواباً
وأوفق للسنة ، ولا يشغل بالعلوم الآلية إلا على أنها آلة لا أنها مقصودة !!

وفيه أيضاً ج ٢ ص ١٣٤ من كان مقلداً لواحد من الأئمة ، وبلغه عن رسول
الله ﷺ ما يخالف قوله في مسألة ، فليس له عذر في أن يترك الحديث الى قول
غيره ، وما ذلك شأن المسلمين ، ويخشى عليه النفاق ان فعل ذلك . وإنا قدرنا
رجالاً من ضعفاء المسلمين ، بل من هم في زي العلماء والصلحاء ، يتخفون الصلحاء
أرباباً من دون الله ، ويجعلون قبورهم مساجد كما كان اليهود والنصارى يفعلون
ذلك !! وقد رأينا رجالاً منهم يحرفون الكلام عن مواضعه . وقد فشا التعريف في
كل طائفة ، فالصوفية أظهرت أقاويل لا يدرى لها توفيق بالكتاب والسنة ، وكم

(١) راجع التعليق المذكور على الصفحة ٤٧ .

أحدث الفقهاء من أمور لا يدري من أين أخذوا ذلك ، فعامة الناس صاروا يعبدون الطواغيت ! ويتخنون قبور الصلحاء مساجد وأعياداً ، الى غير ذلك مما هم فيه من الغواية ! أعاذنا الله تعالى منها !

قال العلامة ابن القيم في أعلام الموقعين ج ٣ ص ٤٧٦ : هل يلزم العامي أن يتمذهب ببعض المذاهب المعروفة أم لا ؟ فالصحيح الصواب المقطوع به انه لا يلزمه ، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله تعالى ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمنهج رجل من الأمة ؛ فيقلده دينه دون غيره ! وقد انطوت القرون الفاضلة مبرأ أهلها من هذه النسبة ؛ بل لا يصح للعامي مذهب ولو تمذهب به فالعامي لا مذهب له ، فإذا قال أنا شافعي أو حنبلي أو حنفي أو مالكي أو غير ذلك لم يصر كذلك بمجرد القول ، كما لو قال أنا فقيه أو نحوي أو كاتب لم يصر كذلك بمجرد قوله ، وإن القائل إنه شافعي أو مالكي أو حنفي ، ويزعم أنه متبع لذلك الإمام سالك طريقه ؛ فهذا انما يصح له اذا سلك سبيله في العلم والمعرفة والاستدلال ؛ فأما مع جهله وبعده جداً عن سيرة الإمام وعلمه وطريقه ؛ فكيف يصح الانتساب اليه إلا بالدعوى المجردة والقول الفارغ من كل معنى والعامي لا يتصور له ان يصح له مذهب ؛ ولو تصور ذلك لم يلزمه ولا غيره ولا يلزم أحداً قط أن يتمذهب بمنهج رجل من الأمة بحيث يأخذ أقواله كلها ويدع أقوال غيره . وهذه بدعة قبيحة حدثت في الأمة لم يقل بها أحد من أئمة الإسلام ! وهم أعلى رتبة وأجل قدراً ! وأعلم بالله ورسوله من أن يلزموا الناس بذلك ! وأبعد منه قول من قال يلزمه أن يتمذهب بمنهج عالم من العلماء ، وأبعد منه قول من قال يلزمه أن يتمذهب بأحد المذاهب الأربعة !

فيأفة العجب ماتت مذاهب أصحاب رسول الله ﷺ ومذاهب التابعين وقابضهم وسائر أئمة الإسلام ، وبطلت جملة إلا مذاهب أربعة أنفس فقط من بين سائر

الأئمة والفقهاء! وهل قال أحد من الأئمة أو دعا إليه ، أو دلت عليه لفظة واحدة من كلامه !! والذي أوجه الله تعالى ورسوله ﷺ على الصحابة والتابعين وتابعهم هو الذي أوجه على من بعدهم الى يوم القيامة . لا يختلف الواجب ولا يتبدل وان اختلفت كفيته ، أو قدره باختلاف القدرة والعجز والزمان والمكان والحال .

ويدل على فساد التذهب بذهب بعينه أنه إذا رأى نص رسول الله ﷺ أو قول خلفائه الأربعة مع غير إمامه ترك النص وأقوال الصحابة ، ويقدم عليها قول من انتسب إليه ؛ وعلى هذا فله أن يستفتي من شاء من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم ولا يجب عليه ولا على المفتي أن يتقيد بأحد من الأئمة الأربعة بإجماع الأمة ؛ كما لم يجب على العالم أن يتقيد بمحدث أهل بلده أو غيره من البلاد ، بل إذا صح الحديث وجب عليه العمل به حجازياً كان أو عراقياً ، شامياً أو مصرياً أو يمنياً ؛ وكذا لا يجب على الإنسان التقيد بقراءة أحد القراء السبعة المشهورين باتفاق المسلم ، بل إذا وافقت القراءة رسم المصحف الإمام وصحت في العربية وصح سندها جازت القراءة بها ، وصحت الصلاة بها اتفاقاً ، وهذا اختيار أبي البركات ابن تيمية ؛ ولكن ليس له ان يتتبع رخص المذاهب وأخذ غرضه من أي مذهب وجدته فيه ، بل عليه اتباع الحق بحسب الإمكان ؛ وهذا هو الحق وبالله التوفيق !

فصل

إني أذكر هنا بعض ما وقفت عليه من أسباب شيوع هذه المذاهب في الأقطار ليكون عبرة لمن له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد .

وماك ما في التواريخ . قال أحمد المقرئ المغربي في كتابه [نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب] ج ٣ ص ١٥٨ : [إن سبب تذهب أهل المغرب بذهب الامام مالك رحمه الله تعالى أن أهل المغرب والاندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي وأهل الشام منذ أول الفتح ، ففي دولة الحكم بن هشام بن

عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الولاة بالأندلس من الأمويين انتقلت الفتوى الى رأي مالك بن أنس رحمه الله وأهل المدينة وذلك برأي أخم واختياره لمصلحة سياسية رأها !! واختلفوا في السبب المقضي لذلك . فذهب الجمهور الى أن سببه رحلة علماء الاندلس الى المدينة ، فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره فأعظموه واختاروا مذهبه . وقيل ان الامام مالكا رحمه الله سأل بعض الاندلسيين عن سيرة ملك الاندلس فوصف له سيرته فأعجبت مالكا لكون سيرة بني العباس في ذلك الوقت لم تكن مرضية ، فقال الإمام مالك لذلك الخبير نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم فنميت المسألة الى ملك الأندلس . مع ما علم من جلالة مالك ودينه ، فحمل الناس على مذهبه وأمر بتوك مذهب الازعاعي ، والله أعلم !

ثم إن ملوك المغرب اتفقوا على أن يكون الحكم والعمل على ما اختاره ابن القاسم فقط لا غير ! فالحاصل أن المذاهب صارت من ملعبة الملوك وسياساتهم فتدبر ؟

قال المعصومي : إن أردت الاطلاع على اسباب حدوث المذاهب والطوائف فعليك بطلعة مقدمة تاريخ ابن خلدون فانه قد أبدع في البيان فجراه الله خيراً وأفاد ان المذاهب حدوثها وشيوعها انما هي بسبب السياسات الغاشمة واستيلاء الأعاجم ذوي الاغراض على الملك فتنبه !!

قال ابن القيم [في إغاثة الألبان من مصاد الشيطان] ج ١ ص ١٢٥ ومن كيد الشيطان أمرهم بالزومزي واحد ولبسة واحدة وهيئة ومشية معينة ، وشيخ معين ! وطريقة مختوعة ، ومذهب معين ، ويفرض عليهم لزوم ذلك بحيث يلزمونهم كلزوم الفرائض ! فلا يخرجون عنه ويقدمون في من خرج عنه ويذمونهم كما أكثر مقلدة المذاهب المعينة واصحاب الطرق المتنوعة من الصوفية . الحزبية كالنقشبندية والقادرية

والسهروردية والشاذلية والتيجانية وغيرهم ! فالخند اخند بما عليه من التعصب والتقليد ، وهؤلاء قد اشتغلوا بحفظ الرسوم عن الشريعة والحقيقة ، فصاروا واقفين مع الرسوم المبتدعة ، ليسوا مع أهل الفقه ولا مع أهل الحقائق ، ومن تأمل هدى رسول الله ﷺ وسيرته وجده مناقضاً لهدى هؤلاء ، وهدية ﷺ عدم التكلف والتقيّد بغير ما أمره به ربه ، فينبغي هديه ﷺ وهدى هؤلاء من بعيد !!

قال المعصومي : إن كنت تريد الاطلاع على حدوث هذه المذاهب المختلفة المغايرة للإسلام والمفرقة للمسلمين ! فعليك بمطالعة كتاب إغاثة اللهيمان من مصائد الشيطان وخصوصاً القسم الأخير منه ، فإن هناك بيان دسائس ابن سينا والتصير الطوسي ، ودسائس العبيديين والفاطميين وغيرهم وبالجملة فإن أعداء الإسلام إغما وصلوا الى تصير الإسلام بتفريق أهله الى مذاهب وخرائق فتدبر .

قال الإمام شهاب الدين عبد الرحمن المعروف بأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ في كتابه المؤمل للردّ الى الأمر الاول ج ١ ص ١٠ : إن الناس قد قنعوا من علوم القرآن بحفظ سورة ، ونقل بعض قراءاته وغفلوا عن علم تفسيره ومعانيه واستنباط أحكامه ! واقتصروا من علم الحديث على سماع بعض الكتب على شيوخ أكثرهم أجهل منهم ! ومنهم من قنع بزبالة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم وبالتقل عن أهل مذهبه ! وقد سئل بعض العارفين عن معنى المذهب ؟ فأجاب بأن معناه دين مدلل ! قال الله تعالى : **وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْأً** ومع هذا يجتدل إليه من رؤوس العلماء وهو عند الله وعند علماء الدين من أجهل الجهل النع !!

وفيه أيضاً ج ١ ص ١٥ : وقد اشتهرت المذاهب الأربعة وهجر غيرها

فقصرت هم أبنائهم إلا قليلاً منهم فقلدوا بعد ما كان التقليد أغير الرسل حواماً ،
بل صارت أقوال أئمتهم عندهم بمنزلة الأصليين ، وذلك معنى قوله تعالى : « اتَّخَذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ !! » .

قال جامع هذه الكلمات أبو عبد الكريم وأبو عبد الرحمن محمد سلطان
المعصومي . هذا آخر ما نويتُ جمعه مما يتعلق بمسألة تقاليد المذاهب الواردة إليّ
من الشرق الأتسى من بلاد اليابان ، وقد اكتشيت بهذا القدر ، لأن القطرة تدل
على البحر ، وانه عز وجل المسؤول أن ينفع به العباد في عامة البلاد ويجعله
خالصاً لوحده الكريم ، وسبباً للفوز بجنتات النعيم ، وكان ذلك في بلد الله الأمين
في داري "كاث" في زقاق البخارية قريبة من المسجد الحرام ، خامس عشر شهر
محرم الحرام عام ١٣٥٨ .

وآخر دعوانا : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ،
والحمد لله رب العالمين » .

(١) إن هؤلاء المقلدين يزعمون ان كل حديث لم يأخذ به إمامهم ، هو منسوخ ، فهم
بذلك يطعنون بأئمة المذاهب الآخرين ، وينسبون إليهم الجمل ، لأخذهم به كما انهم يعتقدون
بامامهم العصمة والعبادة بالله ، والاحاطة بجميع الاحاديث النبوية مما لم يقل به هذا الامام نفسه!
علما بأن الحديث جمع بعد هؤلاء الائمة الاربعة رحمهم الله ، مما جعل احكامهم تتضارب
وتختلف بين الوجوب والحرام والكراهة والتدب والاباحة في الحكم الواحد مما لا يتصور
ان ينزله الله سبحانه العاقل (لولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)
وقد صرح الشعراي وغيره بأن هؤلاء الائمة لو جاؤوا اليوم لجمعوا عن كثير من
آرائهم بعد هذا الجمع للحديث من قبل رجال عدول .

لهذا كله ، وللم كل يوم من الائمة بغياب كثير من الاحاديث عنه للاسباب السالفة
الذكر ، صرح بوجود الرجوع إلى الحديث إذا صح ، والضرب بأقواله المخالفة له عرض
الحائط . مما يدل على إنصافه وتبرئه ذمته ، فالتبعة لتقع بعد ذلك يوم القيامة على ابائهم
المقلدين المتمسكين الاخرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنماً !!

الفهرس

- ٣ المقدمة في سبب التأليف
- ٥ بيان حقيقة الإيمان والإسلام
- ٦ التقليد للمذهب من المذاهب الأربعة ليس بواجب ولا مندوب
- ٧ دين الإسلام هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ
- ٩ المتأخرون غيروا وبدلوا حتى ألزموا تقليد واحد بعينه فتفرقوا
- ١٠ هل يسأل الإنسان في القبر إذا مات عن المذهب أو الطريقة ؟
- ١١ أصل القول بلزوم التزام المذهب المعين مبني على السياسات
- ١٢ تحقيق ولي الله الدهلوي في رسالة الانصاف أن المذهب بدعة
- ١٣ من يتعصب لواحد غير رسول ﷺ فهو ضال جاهل
- ١٤ تحقيق الكمال ابن الهمام في التحرير أن التزام مذهب معين غير لازم
- ١٦ الامام المتبوع المقتدى به حقا هو النبي ﷺ
- ١٧ بسبب اتباع المذاهب حدثت التفرقة والاختلافات
- ١٩ مذهب الامام أبي حنيفة إنما هو العمل بالكتاب والسنة
- ٢١ المجتهد قد يخطئ ويصيب ، وأما النبي ﷺ فمعصوم من الخطأ البتة
- ٣٥ الحق ليس محصوراً في رأي أحد قطعا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٢٩ لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، وهو التمسك بالقرآن والسنة
- ٣٢ حكاية الفخر الرازي في تغير العلماء وتغير دين الله وشرعه
- ٣٣ الإمام الأعظم إنما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا غيره
- ٣٥ أمرنا الله تعالى بالتسليم على الصراط المستقيم
- ٣٨ من وصف المفضوب عليهم أنهم لا يقبلون الحق إلا من أهل مذهبه
- ٣٩ الحق أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ألزم الناس أن يلتزموا مذهب واحد بعينه